استراتيجية مقترحة للدولة الفلسطينية

Segal, Jerome M.; *Creating the Palestinian State; A Strategy for Peace,* U.S.: Lawrence Hill Books, 1989, 177 Pages.

الحديث عن دولة فلسطينية مستقلة «تقف على الابواب» تنتظر من يفتح لها لتقام، وتقيم، على الارض المحتلة العام ١٩٦٧، موضوع شائك؛ ذلك لأنه لا توجد دولة فلسطينية مستقلة معروضة على الفلسطينيين: اسرائيل ترفضها، من حيث المبدأ والاساس، والولايات المتحدة الاميركية تتبنى، كعادتها، الرفض الاسرائيلي؛ دول اوروبا الغربية لم تعرضها على منظمة التحرير الفلسطينية، وكذلك دول اوروبا الشرقية. ولهذا الاقرار نتائج نظرية نكتفي، هنا، بالتلميح اليها.

لا تنفع المداورة، بل ان الوضوح ضروري. في هذا السياق، بالذات، فان كتاب جيروم سيغال «قيام الدولة الفلسطينية؛ استراتيجية للسلام»، مفيد، لأنه يدحض، بسهولة، واقناع، الافتراض القائل، ان الدولة الفلسطينية المستقلة لن تأتي الّا نتيجة توازنات وحسابات مصالح اقليمية ودولية دقيقة ومعقّدة. وهذا الافتراض، كما يراه الاستاذ في جامعة مريلاند الاميركية الرئيس الحالي للجنة «السلام الفلسطيني ـ الاسرائيلي» (PAC)، جرى استلهامه، نسبياً، من فكرة المؤتمر الدولي، واسلوب التفاوض، وتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية، حول ما ستؤول اليه عملية التفاوض.

هكذا يدعو سيغال الى نمذجة ذاتية للدولة الفلسطينية المستقلة تتجاهل المعلن من ايديولوجيتها، ويسميه الكاتب «الادراك الذاتي». الّا ان هذا الادراك مشروط بنضج الفكر السياسي الفلسطيني في استيعاب معطيات اللحظة الراهنة. ويتمثل هذا النضج في اجتماع متزامن لاستغلال الفرصة التي اتاحتها الانتفاضة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، ولدور منظمة التحرير الفلسطينية في هذه العملية؛ ويلمّح الكاتب، بوضوح، الى غياب متفاوت لهتين الدعامتين، وبالتالي الى عدم القدرة على امساك افرازات اللحظة الراهنة، حيث دخل الفلسطينيون، للمرة الاولى في تاريخهم، وسائط لمصيرهم الخاص (ص ٥٢ ـ ٥٥).

سيغال لا يتوقف عند هذا الحدّ؛ وقد يكون بيت القصيد في اسطر قليلة ختم بها كتابه واسهب في تفصيلها في متنه (انظر الفصل الثالث مثلاً)، حيث ذكر ان الاستراتيجية التي يقترحها لقيام الدولة الفلسطينية المستقلة هي ان تبادر منظمة التحرير الفلسطينية الى اعلان دولتها، وتؤمّن، بصورة تدريجية، الاعتراف الدولي بها. الحسنة الجوهرية للاعلان، في رأيه، هي تفادي الحل القائم على التوازن الدولي، لأن الحل، في هذه الحالة، سوف يبدأ نفسه بنفسه، وبذلك سيجسّد روح الانتفاضة، والمتمثل في ان الشعب الفلسطيني على الارض سوف يقرّر مصيره بنفسه.

واستدرك القول انه ربما تصيب الحكومة الاسرائيلية نجاحاً في الحدّ من فعالية الوظائف الطبيعية لمؤسسات تلك الدولة، وربما تستمر القوات الاسرائيلية في احتلال البلاد لفترة قد تطول، ولكن يبقى الشعب الفلسطيني طامحاً الى اقامة هذه «الجمعية الانسانية» التي نطلق عليها اسم «الدولة»؛ فدولة فلسطين سوف تقام عاجلاً أم آجلاً (ص ١٧٥). امّا منظمة التحرير، فانها يمكن ان تلعب دور الحاضنة «الانتقالية» للحكومة المؤقتة لدولة فلسطين؛ الحكومة التي هي، في تعريفه، شكل دستوري انتقالي يعبّر عن شخصية قومية اعتبارية، تفاوض